مقدمة

زيبا مير-حسيني، مُلكي الشرماني، جانا راماينجر

(Ziba Mir-Hosseini, Mulki Al-Sharmani, and Jana Rumminger)

لا توجد مساواة بين الرجال والنساء في تراث الفقه الإسلامي، وتكمن هذه التفرقة في تصور مفاده أن للرجال سلطة على النساء، وهو ما يتجلى في مفهومي "القوامة" و"الولاية" اللذين يضعان النساء موضع الوصاية من قِبل الرجال. ويشير مفهوم "القوامة" بصفة عامة إلى سلطة الزوج على زوجته ومسؤوليته المالية نحوها. أما مفهوم "الولاية" فيشير إلى حقوق أفراد العائلة من الذكور وواجباتهم في الوصاية على أفراد العائلة من الإناث (مثل ولاية الآباء على بناتهم في إبرام عقود الزواج)، كما يمنح المفهوم الآباء أسبقية على الأمهات في الولاية على الأطفال. ويعزز هذان المفهومان المنطق الذي يحكم صياغة معظم قوانين الأسرة المعاصرة في الدول الإسلامية، كما نراهما يتجليان بوضوح في البنود القانونية التي تنظم الحقوق والواجبات الزوجية. كذلك نجد أن المفهومين يكمنان وراء القيود القانونية والاجتماعية الموضوعة على مشاركة النساء في المجال العام وتوليهن مواقع القيادة.

وقد لعب هذان المفهومان في المجتمعات الإسلامية، ولا يزالان، دورًا محوريًا في ترسيخ غياب المساواة بين الجنسين وتبريره واستمراره، وذلك كما صاغهما الفقه التقليدي وانعكاس أثره على صياغة القوانين والممارسات المعاصرة. وهناك فكرة قديمة تكمن وراء تلك القوانين والممارسات ترى أن الرجال أقوياء وعليهم الإعالة وتوفير الحماية، وأن النساء ضعيفات وعليهن الطاعة والاحتماء.

وعادة ما يستشهد بالآية ٣٤ من سورة "النساء"[١] بوصفها دليلًا نصّيًا على البداهة المفترضة لفكرة سلطة الرجال والعلاقات المبنية على التسلسل التراتبي بين الجنسين. ويشتق مفهوم "القوامة" (لا ترد كلمة "قوامة" ذاتها في القرآن) من كلمة "قوامون" (والتي تترجم عادة إلى من 'يتولون الحماية

[١] تقول الآية: "الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا".

والإعالة') التي ترد في الآية السالف ذكرها (راجع مقالة أبوبكر (Abou-Bakr) في هذا الكتاب). ويمكن التعرف على أكثر من معنى للمصدر 'ق- ا- م' في اللغة العربية، مثل: 'قام من مكانه'، و'امتثل'، و'مضى قُدمًا'، ' و'أعال'، و'ثار'، و'تحمّل' و'رفع'. ولا يرد في القرآن سوى مثالين آخرين على كلمتين أخريين مشتقتين من المصدر 'ق- ا- م' وذلك في الآيتين ١٣٥ من سورة "النساء"، و٨ من سورة "المائدة"، اللتين اصطُلح على فهم عبارة "كونوا قوامين" فيهما على أنها تعني 'ادعموا بإخلاص' (راجع مقالة المرابط (Lamrabet) في هذا الكتاب).

أما الكلمة الأخرى وهي "ولاية" فيرد بالفعل في القرآن، ولكن ليس بالصيغة التي تؤيد سلطة الرجال على النساء.[٢] ولكننا نجد أن ذلك الفهم الأخير هو الفهم المتبنى في أحكام الزواج في الفقه.

وترد في القرآن كلمات أخرى تتناول الزواج والعلاقة بين الأزواج في مواقع كثيرة من أمثالها: كلمات "المعروف"، و"مودة ورحمة". لماذا لم يختر الفقهاء تحويل هذه المفاهيم إلى أحكام فقهية؟ وكيف أضحت الآية ٣٤ من سورة "النساء"، وليس أية آية قرآنية أخرى، أساسًا للصياغة القانونية للزواج، ولماذا؟ كيف تشرعنت سلطة الرجال على النساء وتحولت إلى قوانين، وما العمليات الفقهية التي أدت إلى ذلك؟ وكيف ترسخت فكرة الوصاية الممنوحة للرجال، كما تظهر في مفهومي "القوامة" و"الولاية"، في الممارسات اليومية؟ لماذا بقي هذان المفهومان في مخيلة الفقهاء المسلمين المعاصرين، الذين يرفضون فكرة المساواة ويصمونها بالبعد عن الإسلام، أساسًا للعلاقات بين الجنسين حتى اليوم؟ كيف لنا أن نعيد فهم وصياغة هذين المفهومين بطرق تتسع للمساواة بين الجنسين؟ بعبارة أخرى، كيف لنا أن نصل إلى صياغة مساواتية لقوانين الأسرة من داخل التراث الفقهي الإسلامي؟

[٢] ترد كلمة "الولاية" في الآية ٤٤ من سورة "الكهف" حيث تشير إلى حماية الله للبشر، كما ترد الكلمات المشتقة من كلمة "ولاية" مثل كلمة "وليّ" وجمعها "أولياء" في آيات كثيرة كصفة من صفات الله أو وصف للبشر في مواقف وقصص معينة في القرآن. ولكننا لا نجد كلمة "وليّ" أو "أولياء" مستخدمة في أي من الآيات التي أسس الفقهاء عليها مفهوم "الولاية" في الزواج (الآية ٢٢١ من سورة "البقرة"، الآية ٢٣٢ من سورة "البقرة"، الآية ٢٣٤ من سورة "البقرة"، الآية ٢ من سورة "النساء"، الآية ٣ من سورة "النساء"، الآية ٦ من سورة "النساء"، الآية ٢٥ من سورة "النساء"، الآية ٣٢ من سورة "النور"، الآية ١٠ من سورة "الممتحنة"، الآية ٤ من سورة "الطلاق"). لمطالعة المزيد عن مفهوم الولاية، راجع مسعود (Masud) ٢٠١٣، ص ١٣٢-٣).

تحتل هذه الأسئلة موقعًا محوريًا في الجهود المستمرة التي تسعى إلى تحقيق المساواة والعدالة داخل الأسرة المسلمة. ويمثل هذا الكتاب إسهامًا في تلك الجهود، حيث يقدم بعض الإجابات عن بعض تلك الأسئلة ليبرز لنا كيف حدث ذلك التشابك بين تسلط الرجال والفقه الإسلامي ولماذا؟، كما يوضح كيف يتم إنتاج وتفعيل هذا التسلط في المجتمعات المعاصرة؟، وكذلك يعيّن السبل التي تفضي إلى تحقيق المساواة والعدل بين الجنسين من داخل التراث الإسلامي.

ويأتي الطرح الرئيسي في هذا الكتاب متمثلًا في أن مفهومي "القوامة" و"الولاية" قد أسيء فهمهما فأصبحا يشيران إلى وضع النساء تحت سلطة الرجال، مما أدى إلى جعل المفهومين حجر أساس بناء السلطوية الأبوية في الفقه الإسلامي. وعلى كل من يسعى إلى تأسيس صياغة مساواتية لحقوق الجنسين في المجتمعات الإسلامية أن يعيد فهم وصياغة هذين المفهومين والقراءات المتعددة للنصوص المقدسة في الإسلام التي بُني عليها هذان المفهومان.

معرفة جديدة واشتباك جديد مع التراث

لا تقتصر الأبوية وغياب المساواة بين الجنسين على المجتمعات المسلمة (ليرنر (Lerner)، ١٩٨٦). كما لا يمكن اعتبار النساء المسلمات كيانًا واحدًا متجانسًا يواجه التحديات نفسها. تقدم لنا الأبحاث المستفيضة التي بين أيدينا دلائل على وجود مستويات متعددة ومعقدة لغياب المساواة الأمر الذي يواجه المسلمات في الكثير من المجتمعات المسلمة، والتي لا يمكن عزو جميعها إلى الدين (راجع على سبيل المثال كانديوتي (Kandiyoti) ١٩٩١، وجوزيف (Joseph) ١٩٩٦، وبودمان وتوحيدي (Bodman and Tohidi) ١٩٩٨). ولكن تبقى حقيقة مهمة هي أنه يمكن تتبع مصادر التمييز ضد النساء في المجتمعات المسلمة في تلك القوانين المستقاة من الفقه الإسلامي، مثل قوانين الأسرة (مير–حسيني (Mir–Hosseini) ١٩٩٣، وسنبل (Sonbol) ١٩٩٦، وويلشمان (Welchman) ٢٠٠٤، وتاكر (Tucker) ٢٠٠٨). ولا يقتصر نفوذ التعاليم الفقهية الواضح إزاء تشكيل المفاهيم المتعلقة بالنساء في المجتمعات الإسلامية على قوانين الأسرة، بل يمتد أثره كذلك إلى أنساق من الأحكام الدينية والتفسيرات التي لم تتحول إلى قوانين، وتعيش بها المجتمعات المسلمة في العالم أجمع، وتستخدمها في تنظيم حياتها والعلاقات الأسرية بداخلها، سواء كان هؤلاء المسلمون

يعيشون في مجتمعات ذات أغلبية أم أقلية مسلمة (قريشي وسعيد– ميلر Quraishi and Syeed–) Miller ٢٠٠٤)، فورنييه (Fournier) ٢٠١٠، ومنسكي (Menski) ٢٠١١، وهامر (Hammer) ٢٠١٣).

وتتمثل أكثر أشكال غياب العدالة بين الجنسين انتشارًا في القوانين التي تنظم أدوار الآباء والأزواج وحقوقهم في حيوات النساء المسلمات. فنجد في الكثير من القوانين الأسرة الإسلامية الحديثة أن الرجال يحق لهم تطليق زوجاتهم أو اتخاذ أربع زوجات أو إخضاع الزوجات للطاعة بالقانون (وهو ما يعنى إلزام الزوجة البقاء في بيت الزوجية وممارسة العلاقة الجنسية مع الزوج)، كما أن لهم الولاية المطلقة على الأطفال. وعادة ما نجد أن الطلاق متاح للنساء في حدود ضيقة، وأنهن لا يحصلن على الوصاية على الأطفال، بينما يبقى حصولهن على النفقة الزوجية مشروطاً 'بطاعة' الأزواج.

وقد أولى العديد من الباحثين خلال العقود القليلة الماضية اهتمامًا خاصًا بالتفسيرات الأبوية والمفاهيم المستقاة من نصوص التراث الفقهي الإسلامي التي تسهم في تأسيس غياب المساواة بين الجنسين.[٣] وقد اصطُلح على تسمية هذا المجال المعرفي الجديد والإشكالي بـ 'النسوية الإسلامية'،[٤] حيث أولت العديد من الباحثات أهمية خاصة بالآية ٣٤ من سورة "النساء".[٥] ولكننا نجد أن معظم هذا الاهتمام جاء منصبًا على نصف الآية الثاني وفكرة "النشوز"، وما إذا كان من حق الرجل أن يضرب زوجته كنوع من أنواع التأديب.

[٣] انظر على سبيل المثال الحبري (al–Hibri) (١٩٨٢)، وحسن (Hassan) (١٩٨٧)، ومرنيسي (Mernissi) (١٩٩١)، وودود (Wadud) (١٩٩٩؛ ٢٠٠٦)، وويب (Webb) (٢٠٠٠)، وبرلس (Barlas) (٢٠٠٢)، ومير–حسيني (Mir–Hosseini) (٢٠٠٣)، وشيخ (Shaikh) (٢٠٠٤)، وأبوبكر (Abou–Bakr) (٢٠٠٤)، وعلى (Ali) (٢٠٠٦؛ ٢٠١٠)، والمرابط (Lamrabet) (٢٠٠٧؛ ٢٠١٢).

[٤] انظر على سبيل المثال أبوبكر (٢٠٠١)، ومير–حسيني (٢٠٠٦؛ ٢٠١١)، وتوحيدي (Tohidi) (٢٠٠٧)، وبرلس (٢٠٠٨)، وبدران (Badran) (٢٠٠٩؛ ٢٠١١)، ومول (Moll) (٢٠٠٩)، وفنتسان (Vanzan) (٢٠١٠)، وشلقامي (Sholkamy) (٢٠١٠)، وعلى (Ali) (٢٠١٢) وسيدات (Seedat) (٢٠١٣a).

[٥] يمكن مطالعة قائمة تمثيلية، وليست جامعة، لمثل تلك الأعمال في كتابات شيخ (١٩٩٧)، والفاروقي (al–Faruqi) (٢٠٠٠)، وأبو الفضل (Abou El Fadl) (٢٠٠١)، ومبارك (Mubarak) (٢٠٠٤)، وباور (Bauer) (٢٠٠٦)، وعلي (٢٠٠٦)، ومحمود (Mahmud) (٢٠٠٦)، وسيلفرز (Silvers) (٢٠٠٦)، وسكوت (Scott) (٢٠٠٩)، وشودري (Chaudhry) (٢٠١٣).

وحاولت بعض الدارسات خلال السنوات القليلة الماضية تعيين الفجوات المعرفية والمنهجية في النسوية الإسلامية بوصفها مجالًا معرفيًا (روني (Rhouni) ٢٠١٠ وسيدات (Seedat) 2013b وهداية الله (Hidayatullah) ٢٠١٤). كما قامت أخريات بتطوير هذا المجال واستكمال بناء نطاقه المعرفي، وعلى الأخص فيما يتعلق بطروحه المنهجية والمعرفية (مير–حسيني وآخرون –Mir) Hosseini et al ٢٠١٣)، وأبوبكر (Abou–Bakr) ٢٠١٣، وأصلان وأخريات وآخرون Aslan et) al.) ٢٠١٣). ويسعى هذا الكتاب، مقتديًا بذلك الكتاب الأخير، إلى إنتاج معرفة نسوية مبنية على التراث الإسلامي ومشتبكة معه نقديًا في الوقت ذاته.

تنتمي الباحثات اللاتي يضم الكتاب أبحاثهن إلى خلفيات متنوعة ومجالات بحثية متعددة. وقد اجتمعن في أحد مشاريع "مساواة" البحثية ليناقشن ثغرة قائمة في السجالات الدائرة حول إصلاح قوانين الأسرة ومناهج التعامل مع حقوق النساء في المجتمعات الإسلامية. ونجد من ناحية أن الغالبية العظمى من فقهاء المسلمين غير مهتمين بفكرة الجندر، حيث نجدهم ليسوا على دراية بالنظريات النسوية وأهمية الجندر بوصفه أحد محددات التفكير في القضايا المختلفة. وعلى الجانب الآخر، نجد معظم الناشطات العاملات في مجال حقوق النساء في المجتمعات الإسلامية، في اتباعهم المناهج النسوية الشائعة، يعتبرن الاشتباك مع الأفكار الدينية أمرًا معوِّقًا، حيث نجدهن يفضلن العمل داخل منظومة سياقها حقوق الإنسان فقط، متجنبات أية سجالات مع الأفكار ذات الصبغة الدينية. ولكننا نرى أن النسوية بوصفها وعيًا وتراثًا معرفيًا يمكن أن تساعدنا على فهم ما نعرفه عن النساء والجندر في شتى مجالات المعرفة، بما فيها الفكر الديني.

توظف المشارِكات في هذا الكتاب معارفهن المتخصصة ومهاراتهن في زعزعة المفاهيم الأساسية الداعمة للأفكار الأبوية والانحيازات المتشرعنة في التراث الفقهي الإسلامي، وكذلك إعادة التفكير في تلك المفاهيم وإعادة تعريفها. يقوم هنا عدد من الباحثات بتتبع كيفية ظهور مفهومي "القوامة" و"الولاية" واستخدامهما في التراث والقوانين المعاصرة، وإلقاء الضوء على الطريقة التي أصبح بها هذان المفهومان في لب التمييز ضد النساء في الإسلام، إضافةً إلى تحليل المقدمات المؤسسة للمفاهيم والخطابات والتعاليم النابعة من هذا الفهم لمصطلحي "القوامة" و"الولاية".

كما نهدف في هذا الكتاب إلى إزالة الغموض المحيط عن هذين المفهومين وإعادة تفسيرهما من خلال المعرفة النسوية المبنية على التراث الفقهي الإسلامي ومبادئه العقائدية والقيمية المحورية.

كما نسعى إلى تسهيل إجراء حوار منهجي بنَّاء بين هذا التراث والنسوية الإسلامية– حوار بوسعه أن يخلق وعيًا عامًا، ويغير سياسات، ويصلح قوانين من خلال سعيه لتحقيق العدالة للنساء. فنحن نرى أن حوارًا كهذا بقي حتى هذه اللحظة عشوائيًا. وتسهم الباحثات المشاركات في هذا الكتاب، من خلال الدراسات البينية لمفهومي "القوامة" و"الولاية"، في هذا الحوار بأفكارهن المتعلقة بالجوانب المتشابكة لجذور غياب المساواة بين الجنسين، سواء الجذور النصية أو القانونية، والعوامل التي تعكس غياب المساواة هذا وتعززه في الخطاب العام وفي الممارسات الاجتماعية. نقدم هنا صورًا أخرى لفهم هذين المفهومين، نبنيها على القواعد القيَمية العامة والمبادئ المستقاة من القرآن والمفاهيم الصوفية المحورية في مجال المبادئ العقائدية التي تحكم علاقة الإنسان بالله تعالى، وكذلك على منهج نسوي جامع شامل يربط التراث الإسلامي بأشكال المعرفة الحديثة، مثل نظريات المعرفة والعدالة والمساواة، بالإضافة إلى المناهج النسوية. وفوق كل ذلك فإننا نستقي هذه الأشكال الجديدة من الفهم من الواقع المعيش وتجارب النساء الحياتية.

عرض لفصول الكتاب

يحتوي الكتاب على عشرة فصول، مبنية على بعضها البعض ومتشابكة فيما بينها. تمهد زيبا مير–حسيني (Ziba Mir–Hosseini) في الفصل الأول المعنون بـ "تراث الفقه الإسلامي وتحديات المساواة بين الجنسين"، وتعرض أهمية تطوير تلك المعرفة الجديدة والمتعددة الأبعاد لمفهومي "القوامة" و"الولاية" بوصفها مشروعًا سياسيًا ومعرفيًا للنسوة المسلمات اللاتي يشتبكن مع الدين في بحثهن عن المساواة للنساء والعدالة لهن. تضع الباحثة ذلك المشروع في إطار التغيرات التي شهدها القرن العشرون على المستويات العالمية والمحلية، في مجال تفاعل الدين بالسياسة من ناحية، وعلاقات التراث الفقهي الإسلامي بأنظمة الحكم والممارسات الاجتماعية من ناحية ثانية. وتتتبع الباحثة ظهور فكرة المساواة بين الجنسين بوصفه تحديًا للتراث الفقهي الإسلامي، ثم تلقي الضوء على الجهود القائمة منذ مطلع القرن العشرين التي سعت إلى إنتاج معرفة جديدة حول مفاهيم المساواة والعدالة بين الجنسين في الفقه الإسلامي. وهنا تعرض الباحثة لمناهج ثلاثة من المفكرين الإصلاحيين وهم: طاهر الحداد (Tahir al–Haddad) وفضل الرحمن (Fazlur Rahman) ونصر أبوزيد (Nasr Abu–Zayd)، والذين صدرت كتاباتهم في لحظات تاريخية مهمة خلال ذلك القرن: مثل مرحلة بداية سن القوانين، وظهور الإسلام السياسي، وظهور النسوية الإسلامية. ويتناول هذا الفصل الصلة الوثيقة بين عملية إنتاج المعرفة بشكل ديموقراطي من جهة، وربط النضال من أجل صياغة قوانين أسرة مساواتية بالنضال الأكبر من أجل تحقيق الديموقراطية والعدالة الاجتماعية من جهة أخرى.

وتأتي الفصول التالية لتعرض كيف أضحت أجزاء معينة من النصوص المقدسة في الإسلام أساسًا للتمييز بين الرجال والنساء في تراث الفقه الإسلامي. ففي الفصل المعنون بـ "التراث التفسيري لمفهوم 'القوامة' بوصفه صياغة تأويلية"، تقوم أميمة أبوبكر (Omaima Abou–Bakr) بتتبع تطور الأفكار المتعلقة بسلطة الرجال وتفوقهم من خلال تحليلها لمفهوم "القوامة" في تراث التفسير. وتقدم أبوبكر قراءة تسلسلية للتفسيرات المختلفة للآية ٣٤ من سورة "النساء"، حيث تعرض كيف أضحت "القوامة" مفهومًا فقهيًا يصوغ بدوره حقوق الرجال والنساء التراتبية داخل الأسرة، مرسخًا سلطة الرجال وتفوقهم في مقابل تبعية ودونية النساء. وتوثق أبوبكر للتغييرات المهمة التي طرأت على فهم الآية ٣٤ من سورة "النساء" ابتداءً من المفسر الطبري في القرن العاشر حتى مفسري

العصر الحديث مثل محمد عبده. كما تتناول أبوبكر المناهج التفسيرية الرئيسية التي تبناها عدد من الإصلاحيين المعاصرين بهدف تقديم قراءات بديلة للآية ولفكرة سلطة الرجال.

وفي الفصل المعنون بـ "قراءة مساواتية لمفاهيم 'الخلافة' و'الولاية' و'القوامة'"، تنقب أسماء المرابط (Asma Lamrabet) عن القيم المحورية التي تمثل رسالة القرآن، وتسعى إلى استعادة المعنى القرآني لمفهوم "قوامة"، مشيرةً إلى فرق واضح بين المعاني الإيجابية والتمكينية لمصطلحي "القوامة" و"الولاية" في القرآن من ناحية، والمعاني التراتبية المصبوغة بالجندر التي جعلت تلك المفاهيم مترسخة في الفقه والتفسير الإسلامي من ناحية أخرى. وتسعى المرابط إلى إعادة هذين المفهومين إلى دلالتهما الأصلية وربطهما بمفهوم قرآني آخر وهو "الاستخلاف" (يعني المساواة في عملية بناء الحضارة)، وهي بذلك تحرر كلا المفهومين من أثقال المعاني الأبوية. ويوضح تحليل المرابط المفاهيم الثلاثة وعلاقتها ببعضها البعض أن مفهومي "القوامة" و"الولاية" لا يشيران إلى السلطة والتفوق الذكوريين، بل إنهما جزء لا يتجزأ من رسالة القرآن المحورية للبشر أجمعين– بغض النظر عن الجنس والعرق والطبقة– والتي تدعو إلى الاضطلاع بمسؤولية بناء الحضارة الإنسانية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجالين العام والخاص على حد سواء.

وفي الفصل المعنون بـ "صياغة فقه إسلامي يساوي بين الجنسين: دراسة لفكرة 'الولاية' في السنة النبوية"، تبني عائشة شودري (Ayesha Chaudhry) طرحها على طرح المرابط الذي يسعى إلى تعيين بدائل في التراث عن طريق إلقاء الضوء على قراءات جديدة للأحاديث التي تتناول الزواج وتفتح أمامنا مسارات رحبة نحو صياغة حقوق مساواتية بين الجنسين. وتدرس شودري بعض الأحاديث المختارة التي تتناول فكرة "الولاية" المتعلقة بموافقة النساء على الزواج، موليةً انتباهها إلى التحديات والفرص التي يقدمها كل من تلك الأحاديث للنسويات المسلمات الملتزمات بعملية استعادة تراث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) الداعي إلى المساواة في الزواج. وتلقي شودري الضوء على الرسائل والأفعال النبوية التي تمثل زعزعة للسلطة الأبوية وتعكس الاهتمام بالنساء بوصفهن كاملات الإنسانية.

أما الفصل الأخير في هذا الجزء والمعنون بـ "الفقه الإسلامي والصوفية والجندر: صياغة جديدة لجوانب القضية" فتبحث فيه سعدية شيخ (Sa'diyya Shaikh) في قدرة الفكر الصوفي، وبصفة خاصة في عدد من المفاهيم المحورية المتعلقة بعلاقة الله بالبشر وبرسالة الإنسان في هذه

الحياة، على تصحيح الصيغ الفقهية المتعلقة بعلاقات وحقوق النساء والرجال. وتولي شيخ اهتمامًا بمفهومين صوفيين موضحة إمكان جعلهما أساسًا لإعادة التفكير في تراث الفقه الإسلامي المتعلق بالنساء. يتعلق أولهما بفكرة تقول "إن لدى كل إنسان القدرة والمسؤولية للسعي وراء تحقيق الأهداف نفسها، وأنه ما من تأثير للجندر في عملية تحقيق تلك الأهداف الوجودية"، موضحة أنه يمكن لهذا المفهوم الصوفي أن يقدم لنا قاعدة عقائدية وقيَمية ننطلق منها نحو مقاومة الأبوية. وتستعين شيخ بفكر ابن عربي المفكر الصوفي المنتمي إلى القرن الثالث عشر في شرحها للمفهوم الثاني وهو الفكرة الصوفية التي تتناول علاقة البشر بالله وحالة "الإنسان الكامل" التي تعكس الصفات الإلهية العليا. وتوضح شيخ أن الالتزام بالترقي الروحاني بوصفه أحد جوانب السعي نحو إقامة علاقة أقرب بين الإنسان والله، والذي يعد لزامًا على النساء والرجال على حد سواء، كما يمكنه أن يشكل أساسًا لصياغة علاقات وأدوار مساواتية للرجال والنساء. وتلقي شيخ الضوء، من خلال إدراجها المنظور الصوفي في النقاشات الدائرة حول الجندر في الفقه الإسلامي، على قدرة النسويات المسلمات على خلق مساحات تمكنهن من إعادة التفكير في صيغ الفقه التقليدي في ضوء "أعمق لأولويات الإسلام الوجودية والدينية."

وتمثل الفصول الأربعة التالية دراسات حالة توضح تجلي سلطة الرجل وأساليب التعامل معها وتخطيها في الممارسات القانونية المعاصرة. نجد لين ويلشمان (Lynn Welchman) في مقالة عنوانها "'القوامة' و'الولاية' بوصفهما فرضيتين قانونيتين في قوانين الأسرة المسلمة" تتناول كيف تضمنت قوانين الأسرة الإسلامية المعاصرة (أو تجاهلت) مفهومي "القوامة" و"الولاية" بوصفهما صيغتين أسهمتا في تشكيل مفهوم الأسرة المسلمة وصياغة العلاقات داخلها. وتوجه ويلشمان بحثها إلى قوانين الأسرة المسلمة في المنطقة العربية، موضحة فروق خطوات الإصلاح المتخذة تجاه البنود التي يتجلى فيها بقوة تأثير هذين المفهومين في بعض الدول، وعلى وجه التحديد فيما يتعلق بالنفقة والطاعة والطلاق وولاية الأب وحضانة الأطفال. تولي ويلشمان قوانين الأسرة في المغرب والإمارات اهتمامًا خاصًا بوصفهما حالتين تشكلان طرفيْ نقيض في مقاربات الإصلاح في هذا الصدد. وتختتم ويلشمان دراستها بالقول إن طبيعة الإصلاحات وحجمها في قوانين الأسرة تعتمد على عوامل متعددة مثل: الإرادة السياسية، والدعم الحقوقي المؤثر والمستدام، والبيئة المجتمعية الداعمة.

وفي الفصل المعنون بـ "الفقه الإسلامي وحقوق الإنسان: صياغة جديدة لمفهومي 'القوامة' و'الولاية' في سياق جهود إصلاح قانون الأحوال الشخصية في مصر"، تعرض مروة شرف الدين (Marwa Sharafeldin) دراسة حالة لمساعي الناشطات والنشطاء المصريين في التعامل مع الفقه الإسلامي ومعايير حقوق الإنسان، وذلك في إطار سعيهم نحو إصلاح قانون الأحوال الشخصية في مصر في ضوء المشكلات الناجمة عن واقع النساء المعيش. وتقوم الباحثة بدراسة التعقيدات المتضمنة في سعي المنظمات غير الحكومية نحو صياغة ونشر صيغ جديدة لمفهومي "القوامة" و"الولاية" في قوانين الأسرة المعاصرة. وتقوم شرف الدين بتحليل كم كبير من البيانات الميدانية التي توثق جهود الناشطات والناشطين داخل شبكة من المنظمات المصرية غير الحكومية الساعية إلى إصلاح قانون الأحوال الشخصية في الفترة بين ٢٠٠٧-٢٠١٠، حيث تبحث فهم الناشطات والناشطين للفقه الإسلامي وقوانين حقوق الإنسان وكيف درسوها وصاغوا مقترحات وطروحًا لا نملك وصفها بالمساواتية المطلقة، ولا الأبوية، ولا التمييز المطلق. كما تدرس شرف الدين العوامل المتعددة المشكّلة لعمليات التفسير التي قامت بها الناشطات والناشطون في سعيهم لصياغة مقارباتهم الخاصة لمفهومي "القوامة" و"الولاية". وتأتي المشكلات التي تواجهها النساء في حيواتهن على رأس تلك العوامل، بالإضافة إلى المعتقدات الشخصية والعلاقات والتشابكات التي تعكس ارتباط كل من هؤلاء الناشطات والناشطين بتراثهم الديني.

تتناول لينا لارسن (Lena Larsen) في الفصل المعنون بـ 'الرجال قوامون على النساء...': ثلاث فتاوى حول الحقوق والواجبات الزوجية" تعاطي المسلمين والفاعلين الدينيين- مثل المُفتِين- في أوروبا مع الواقع المتغير للأدوار الزوجية داخل الأسر المسلمة، وكيف أن ذلك الواقع لم يعد يعكس أدوار الجندر المبنية على فكرة "القوامة" كما ينص عليها الفقه، حيث نجد مثلًا أن الزوجات المسلمات في أوروبا يتحملن مسؤوليات إعالة أسرهن. تعرض لارسن فتاوىً مختارة أصدرها مفتون ذائعو الصيت مثل سيد الدرش (Syed ad-Darsh) و"مجلس الفتوى والأبحاث الأوروبي" (European Council for Fatwa and Research) والتي تناولت قضية النفقة الزوجية والقوامة وأدوار النساء الاقتصادية الجديدة في الأسرة، موضحة أن هؤلاء المُفتين منخرطون في السعي نحو فهم جديد لفكرة "القوامة"، وذلك في ضوء الواقع الجديد الذى تعيشه الأسر المسلمة في أوروبا، حيث يلتزم الزوج بالإنفاق إذا كان قادرًا، ولكنه يفسح المجال أمام إعادة فهم أدوار الزوج لكي تتضمن باقة متنوعة من أشكال المسؤولية، في حين يحث النساء العاملات على المشاركة في إعالة أسرهن ولكن

لا يرغمهن. تعكس تلك الفتاوى التعقيدات والتوترات التي يجابهها المُفتون في سعيهم إلى إصدار أحكام تضع في الحسبان جوانب الواقع الجديد الذي تعيشه الأسر المسلمة في أوروبا، وتحقق التوازن بين مصالح كل من السائل والطرف الآخر، كما تدعم الإبقاء على علاقات أسرية متناغمة، في الوقت الذي تبقى تلك الفتاوى في إطار الخطاب الإسلامي العالمي والذي لا يزال يحتفظ بفكرة التكامل والتسلسل التراتبي في العلاقات بين الجنسين.

يقدم الفصل الذى اشتركت في كتابته كل من ملكي الشرماني (Mulki Al-Sharmani) وجانا رامينجر (Jana Rumminger) بعنوان "'فهم' 'القوامة' و'الولاية' من خلال حكايات حيوات النساء"، تقريرًا عن مشروع "مساواة" العالمي لحكايات حيوات النساء، كما يوضح الفصل الأهمية المنهجية لإعادة فهم "القوامة" و"الولاية" في سياق تجارب النساء الحياتية كما يشكلهما المفهومان من خلال القوانين والسياسات ومعايير الجندر. يأتي "مشروع حكايات حيوات النساء العالمي" كجزءٍ من مبادرة "مساواة" لصياغة معرفة جديدة لمفهومي "القوامة" و"الولاية"، حيث يقوم بتوثيق وتحليل حكايات من حيوات ثمان وخمسين امرأة مسلمة من عشرة بلدان هي: بنجلاديش، وكندا، ومصر، وجامبيا، وإندونيسيا، وإيران، وماليزيا، ونيجيريا، والفلبين، والمملكة المتحدة. تقدم المؤلفتان في هذا الفصل عرضًا للمنهج الذى صاغه المشروع واستخدمه ، كما تشرحان وجهات مبادئ البحث النسوي ومبادئ الإسلام القيمية في عملية البحث، ثم تناقشان بعض النتائج الأولية التي توصل إليها البحث، مع إلقاء الضوء على الانفصال الواضح بين أدوار الجندر كما تصوغها القوانين والواقع المعيش لكثير من النساء المسلمات، حيث يشير البحث إلى قيام كثير من النساء بأدوار اقتصادية فعالة داخل أسرهن بينما لا يحظين بالحماية والدعم اللذين تعدهن بهما التوصيفات القانونية لفكرة "القوامة" و"الولاية"، ويبرز أيضًا أن إسهامات النساء الاقتصادية في الإنفاق على الأسرة لا تفضي بالضرورة إلى قيام علاقات مساواتية بين الجنسين. تلقي نتائج البحث الضوء على التغيرات والتطورات التي طرأت على معرفة النساء بذواتهن وعلى علاقاتهن بالأطر المعيارية التي تحكم واقعهن وعلى معرفتهن بتراث الفقه الإسلامي. وفي النهاية تسوق الباحثتان بعض الأفكار حول دلالات المشروع المتعددة وكذلك التحديات التي واجهها المشروع.

وفي المفصل المعنون بـ "قيم 'التوحيد' فوق اعتبارات 'القوامة'" الذي يمثل خاتمة الكتاب، تقدم الباحثة البارزة آمنة ودود (Amina Wadud) رؤية ذاتية تتتبع من خلالها سعيها الشخصي

والفكري في التعامل مع مفهوم سلطة الرجال وغياب المساواة بين الرجال والنساء كما تعبر عنها القراءات التقليدية السائدة للآية ٣٤ من سورة "النساء" والمعايير القانونية والاجتماعية التي بُنيت على تلك التفاسير. ويعتمد تحليل ودود على فهمها لتلك القضايا وعلى بعض الأحداث التي شهدتها خلال رحلة حياتها، كما تقوم بتتبع تطور أفكارها في هذا المجال. ثم تختتم ودود الفصل بطرح مفهوم "منظومة التوحيد" الذى يمثل "السبيل إلى الوصول إلى مجتمع يقوم على قيم الإسلام"، والتغلب على "الظلم الذى يستتبعه مفهوم 'القوامة' في عصرنا الحالي وفي مجتمعات إسلامية متعددة."

تشتبك فصول هذا الكتاب اشتباكًا نقديًا مع مفهومي "القوامة" و"الولاية" وهما مفهومان محوريان تأسس عليهما بنيان التمييز ضد النساء في تراث الفقه الإسلامي. وتسعى فصول الكتاب إلى زعزعة تفسيرات المفسرين والفقهاء السائدة لمفهومي "القوامة" و"الولاية"، وكذلك إلى التنقيب عن تفسيرات بديلة وتمكينية للمفهومين في القرآن والسنة. وكذلك تحاول فصول الكتاب تقديم مقترحات وطرح بدائل أخلاقية وعادلة للصيغ الفقهية التقليدية لحقوق الجنسين والعلاقة بينهما، بالإضافة إلى عرض أمثلة لمدى امتثال قوانين الأسرة المسلمة المعاصرة لهذين المفهومين أو سعيها نحو إصلاحات تنحى منحى العدالة وتفسح المجال للمساواة بين الجنسين. كما تسعى فصول الكتاب إلى دراسة احتكاك النساء المسلمات في بعض الدول المختارة بالتفسيرات الدينية السائدة والأعراف الاجتماعية والقوانين المدعومة بمفهومي "القوامة" و"الولاية" ومحاولاتهن الاشتباك معها. يطرح هذا الكتاب في مجمله أفكارًا ومعرفة جديدة تدعم المساواة والعدالة بين الجنسين من منظور إسلامي.

المراجع:

Abou-Bakr, Omaima. 2001. 'Islamic Feminism? What's in a Name? Preliminary Reflections'. *Middle East Women's Studies Review* 15–16: pp. 1–2.

Abou-Bakr, Omaima. 2004. 'Surat al-Rajul fi al-Kitabat al-Islamiyah: Bayn al-Tafasir al-Qadima wa al-Haditha'. In *A'isha Taymur: Tahaddiyat al-Thabit wa-al-Mutaghayyir fi al-Qarn al-Tasi' 'Ashar*, edited by Hoda Elsadda, pp. 144–68. Cairo: Women & Memory Forum.

Abou-Bakr, Omaima (ed.). 2013. *Feminist and Islamic Perspectives; New Horizons of Knowledge and Reform*. Cairo: Women and Memory Forum with the Danish–Egyptian Dialogue Institute and the Danish Center for Research on Women and Gender.

Abou El Fadl, Khaled. 2001. *The Search for Beauty in Islam: A Conference of the Books*. Oxford: Rowman & Littlefield.

Al-Faruqi, Maysam. 2000. 'Women's Self-Identity in the Qur'an and Islamic Law'. In *Windows of Faith: Muslim Women Scholar Activists in North America*, edited by Gisela Webb, pp. 72–101. Syracuse, NY: Syracuse University Press.

Al-Hibri, Azizah. 1982. 'A Study of Islamic Herstory: Or How Did We Ever Get into This Mess.' *Women's Studies International Forum* 5 (2): pp. 207–19.

Ali, Kecia. 2006. *Sexual Ethics and Islam: Feminist Reflections on Qur'an, Hadith, and Jurisprudence*. Oxford: Oneworld.

Ali, Kecia. 2010. *Marriage and Slavery in Early Islam*. Cambridge: Harvard University Press.

Ali, Zahra. 2012. *Féminismes Islamiques.* Paris: La Fabrique.

Aslan, Ednan, Marcia Hermansen and Elif Medeni (eds). 2013. *Muslima Theology: The Voices of Muslim Women Theologians*. Frankfurt: Peter Lang.

Badran, Margot. 2009. *Feminism in Islam: Secular and Religious Convergences*. Oxford: Oneworld.

Badran, Margot. 2011. 'From Islamic Feminism to a Muslim Holistic Feminism'. *Institute of Development Studies Bulletin* 42 (1): pp. 78–87.

Barlas, Asma. 2002. *Believing Women in Islam: Unreading Patriarchal Interpretations of the Qur'an*. Austin: University of Texas Press.

Barlas, Asma. 2008. 'Engaging Islamic Feminism: Provincializing Feminism as Master Narrative'. In *Islamic Feminism: Current Perspectives*, edited by Anitta Kynsilehto, pp. 15–24. Tampere: Tampere Peace Research Institute.

Bauer, Karen. 2006. '"Traditional" Exegesis of Q 4:34'. *Comparative Islamic Studies* 2 (2): pp. 129–42.

Bodman, Herbert and Nayereh Tohidi (eds). 1998. *Women in Muslim Societies: Diversity within Unity*. Boulder, CO: Lynne Rienner.

Chaudhry, Ayesha S. 2013. *Domestic Violence and the Islamic Tradition: Ethics, Law, and the Muslim Discourse on Gender*. Oxford: Oxford University Press.

Fournier, Pascal. 2010. *Muslim Marriages in Western Courts.* Williston, VT: Ashgate.

Hammer, Juliane. 2013. '"Men are the Protectors of Women": Negotiating Marriage, Feminism, and (Islamic) Law in American Muslim Efforts against Domestic Violence'. In *Feminism, Law, and Religion*, edited by Marie A. Failinger, Elizabeth R. Schiltz and Susan J. Stabile, pp. 237–56. Farnham, UK: Ashgate.

Hassan, Riffat. 1987. 'Equal Before Allah? Woman–Man Equality in the Islamic Tradition'. *Harvard Divinity Bulletin* 7 (2): pp. 26–9.

Hidayatullah, Aysha A. 2014. *Feminist Edges of the Qur'an*. Oxford: Oxford University Press.

Joseph, Suad. 1996. 'Patriarchy and Development in the Arab World'. *Gender and Development* 4 (6): pp. 14–19.

Kandiyoti, Deniz (ed.). 1991. *Women, Islam, and the State*. London: Macmillan.

Lamrabet, Asma. 2007. *Le Coran et les Femmes. Une Lecture de Libération*. Lyons: Tawhid.

Lamrabet, Asma. 2012. *Femmes et Hommes dans le Coran: Quelle Égalité*? Paris: Albourag.

Lerner, Gerda. 1986. *The Creation of Patriarchy*. Oxford: Oxford University Press.

Mahmoud, Mohamed. 2006. 'To Beat or Not to Beat: On the Exegetical Dilemmas over Qur'an, 4:34'. *Journal of the American Oriental Society* 126 (4): pp. 537–50.

Masud, Muhammad Khalid. 2013. 'Gender Equality and the Doctrine of *Wilaya*'. In *Gender and Equality in Muslim Family Law: Justice and Ethics in the Islamic Legal Tradition*, edited by Ziba Mir-Hosseini, Kari Vogt, Lena Larsen and Christian Moe, pp. 127–54. London: I.B. Tauris.

Menski, Werner. 2011. 'Islamic Law in British Courts: Do We Not Know or Do We Not Want to Know?' In *The Place of Religion in Family Law: A Comparative Search*, edited by Jane Mair and Esin Őrűcű, pp. 15–36. Mortsel, Belgium: Intersentia.

Mernissi, Fatima. 1991. *The Veil and the Male Elite: A Feminist Interpretation of Women's Rights in Islam*. New York: Basic Books.

Mir-Hosseini, Ziba. 1993. *Marriage on Trial*: *A Study of Islamic Family Law, Iran and Morocco Compared*. London: I.B. Tauris.

Mir-Hosseini, Ziba. 2003. 'The Construction of Gender in Islamic Legal Thought and Strategies for Reform'. *Hawwa* 1 (1): pp. 1–28.

Mir-Hosseini, Ziba. 2006. 'Muslim Women's Quest for Equality: Between Islamic Law and Feminism'. *Critical Inquiry* 32 (4): pp. 629–45.

Mir-Hosseini, Ziba. 2011. 'Beyond Islam vs. Feminism'. *Institute of Development Studies Bulletin* 42 (1): pp. 67–77.

Mir-Hosseini, Ziba, Kari Vogt, Lena Larsen and Christian Moe (eds). 2013. *Gender and Equality in Muslim Family Law: Justice and Ethics in the Islamic Legal Tradition*. London: I.B. Tauris.

Moll, Yasmin. 2009. '"People Like Us" in Pursuit of God and Rights: Islamic Feminist Discourse and Sisters in Islam in Malaysia'. *Journal of International Women's Studies* 11 (1): pp. 40–55.

Mubarak, Hadia. 2004. 'Breaking the Interpretative Monopoly: A Re-examination of Verse 4:34'. *Hawwa* 2 (3): pp. 261–89.

Quraishi, Asifa and Najeeba Syeed-Miller. 2004. 'No Altars: A Survey of Islamic Family Law in the United States'. In *Women's Rights and Islamic Law*, edited by Lynn Welchman, pp. 179–219. New York: Zed Books.

Rhouni, Raja. 2010. *Secular and Islamic Feminist Critique in the Work of Fatima Mernissi*. Boston: Brill.

Scott, Rachel M. 2009. 'A Contextual Women's Rights in the Qur'an: Readings of 4:34'. *Muslim World* 99 (1): pp. 60–85.

Seedat, Fatima. 2013a. 'When Islam and Feminism Converge'. *Muslim World* 103 (3): pp. 404–20.

Seedat, Fatima. 2013b. 'Islam, Feminism, and Islamic Feminism: Between Inadequacy and Inevitability'. *Journal of Feminist Studies in Religion* 29 (2): pp. 25–45.

Shaikh, Sa'diyya. 1997. 'Exegetical Violence: Nushuz in Qur'anic Gender Ideology'. *Journal for Islamic Studies* 17: pp. 49–73.

Shaikh, Sa'diyya. 2004. 'Knowledge, Women, and Gender in Hadith: A Feminist Interpretation'. *Islam and Christian–Muslim Relations* 15 (1): pp. 99–108.

Sholkamy, Hania (ed.). 2010. 'Islam and Feminism'. In *Contestations* 1: http://www.contestations.net/wp-content/uploads/2010/10/contestations1.pdf

Silvers, Laury. 2006. '"In the Book We Have Left out Nothing": The Ethical Problem of the Existence of Verse 4:34 in the Qur'an'. *Comparative Islamic Studies* 2 (2): pp. 171–80.

Sonbol, Amira El-Azhary (ed.). 1996. *Women, the Family and Divorce Laws in Islamic History*. Syracuse, NY: Syracuse University Press.

Tohidi, Nayereh. 2007. 'Muslim Feminism and Islamic Reformation: The Case of Iran'. In *Feminist Theologies: Legacy and Prospect*, edited by Rosemary Radford Ruether, pp. 93–116. Minneapolis: Fortress Press.

Tucker, Judith. 2008. *Women, Family, and Gender in Islamic Law*. Cambridge, UK: Cambridge University Press.

Vanzan, Anna. 2010. *Le Donne di Allah: Viggio Nei Feminismi Islamici*. Milan: Mondadori Bruno.

Wadud, Amina. 1999. *Qur'an and Woman: Rereading the Text from a Woman's Perspective*. Oxford: Oxford University Press.

Wadud, Amina. 2006. *Inside the Gender Jihad: Women's Reform in Islam*. Oxford: Oneworld.

Webb, Gisela (ed.). 2000. *Windows of Faith: Muslim Women Scholar-Activists in North America*. Syracuse, NY: Syracuse University Press.

Welchman, Lynn (ed.). 2004. *Women's Rights and Islamic Law*. London: Zed Books.